العرب
الثلاثاء 2021/11/16
السنة 44 العدد 12242

دلشاد بهاءالدين يُراقص المُمكن في لوحات مولوية

الفنان العراقي الكردي يُقيم صلوات صوفية بين الضوء والعتمة

دوران راقص شكلا ومعنى

اللاحضور يستحيل حضورا في لوحات بهاءالدين

تمجيد للمرأة والفلك الذي تعوم فيه

تطرح لوحات الفنان التشكيلي العراقي الكردي دلشاد بهاءالدين في كل مرة نبوءتها الجديدة، وهو الذي يعزّز العمل دون أدنى مبالغة للالتقاء بين التباينات الكثيرة من جهة، وبين المنحنيات المولوية العشقية بين الصلاة والصوفية من جهة ثانية، مستعينا في ذلك بالكشف بوصفه السبيل إلى أصل التجلي، والانفتاح على إحالات مفترضة.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

دلشاد بهاءالدين المولود بالسليمانية في العام 1974 من الأسماء المهمة لا في مدينة السليمانية فحسب، بل في عموم كردستان العراق، التقيته أكثر من مرة في سيمبوزيوم السليمانية الثالث الذي أقيم في الفترة الممتدة بين الثالث والعاشر من سبتمبر 2021، سواء في مكان العمل والورشة حيث كان المشاركون والضيوف الفنانون يتواجدون كخلية نحل، أو في تلك الزيارة الجماعية التي قمنا بها إلى غاليري "زاموا" حيث يشغل مديرا له.

زاموا الذي يُعتبر من البيوت القديمة في السليمانية، والذي بني منذ تأسيس مدينة السليمانية، أي إلى أكثر من مئة وثلاثين عاما، وتعود ملكيته إلى الكاتب الكردي إبراهيم أحمد والد هيرو إبراهيم عقيلة الرئيس العراقي الراحل مام جلال، من البيوت التي تحمل من العمارة القديمة الكثير: نوافذها، أبوابها، حجارتها، شرفتها، صحنها.. إلخ. كل ما فيها يعود بك عقودا إلى الوراء متماهية مع رؤية القدامى للعالم وللإنسان ولنمطية سكنه، كل ما فيها يحرّك الروح فيك وكأنك في محراب مقدس.

هوس بالاختلاف

هذا الحرص على تحويل البيت الجميل إلى غاليري وحده كافيا على أهميته في مسار تحوّلات الثقافة بأغصانها المثمرة جميعها والتفنّن في سموّه لاستنهاض المتلقي للاقتراب منها على نحو أكثر، وكان يشغل فضاءاته، أقصد فضاءات زاموا أعماله الموغلة بعيدا على درب البحث عن آفاق جديدة، وهذا ما جعلني أقترب من أعماله تلك أكثر، وكأنها تطرح لي نبوءتها الجديدة دون أن يرتدّ عنها ما هو مسكون بهاجس الإبداع والمحكوم بقلق البحث.

وبهاءالدين مسكون بالاختلاف، ولهذا يكشف النقاب عن روحه وهي تتموضع داخل مساحاته البيضاء، فنيران الرؤية تسبقه للتعرّف على الجذور والإمساك بها، فاللاحقيقة تتحوّل إلى حقيقة، واللاحضور إلى حضور وكأنه يُريد أن يثبت مقولة جاك دريدا بذلك، فالأحداث عنده مأزومة من الداخل على الأقل، فلا بد من الخروج دراميا ليحدّد ذاته، وهذا نوع من كمون الذات نفسه الذي لا بد من التدفّق خارجا، هي مشاعره بانطباعات لونية، فتكون أكثر رهافة وهي تمتزج بفرشاته التي لا بد لها أن تلاقي طريقها إلى جمهورية البياض.

بهاءالدين يشحن عمله بدلالات جديدة لها بعدها الرمزي إلى جانب بعدها الجمالي مكرّسا معظم طاقته لاستكشاف عالم بصري يعرف تماما أشياءها وموضوعاتها، فهو يتوجّه بعينيه نحو مصدر الضوء وإلى تلك المناطق الأكثر تضادا بينها.

أقصد بين الضوء والعتمة، وهذه إحدى العمليات التي تجعل ردود أفعاله لاإرادية، من جانبه على الأقل، وبها يكتسب مرونة حين ينظر ويقترب إلى/ من أنماط بصرية مختلفة لها تفضيلاتها المتّسقة، وهذه إمكانية يمتاز بها وتدفعه نحو امتلاك جذور البناء الأساسية إن كان في الإدراك عامة أو في الإدراك الفني خاصة، ما يجعله في حالة من التأمّل الدائم لا ليُعيد الثقة التي قد تتدحرج أحيانا في تحديدات الوجود، بل لينزعها.

أقصد هنا الثقة ويغرسها في عمقه وهذا شكل من أشكال استعادة الوجود بوصفها لحظات مؤقتة وضرورية في الوقت ذاته، بوصفها مجازات متوالدة عن أزمان غير عاجزة عن إفراغ نبضاتها، عن إعطاء الضمان للمشهد الذي حظي بالقيم العليا التي تتحدّث عن عبقها تزامنيا مع ما يرسم ومع ما يحدث دائما على السطوح من تفاهمات تكسر كلّا من البعد الزماني والبعد المكاني بين المتلقي وما يشاهده ويسمعه من تلك التفاهمات على تلك السطوح.

انبعاث وتلقّ

بهاءالدين وفي محاولاته لفهم العالم يبدأ بإعجابه بكل ما يمجّد حياة الإنسان وبالدوائر التي يعوم فيها، وما الأقواس والحركات المائلة لخطوطه إلاّ ترددات لرؤيته تلك، ملخّصا بها فلسفته حول سؤال الفن، فهو عميق في روحه إلى حد الرعب، ولا ينسى أن يذهب نحو تأسيس رابطة لونية بين تكويناته المختلفة محققا ذاته فيها، مستدعيا انتقاءاته ليقصي بها نحو ارتقاء قواعدها التي تمنحه امتيازا خاصا، والتي ستقوده بعلاقاتها والتي ستستوعبه وتستوعب انفعالاته إلى فعل التنقل في الفضاء، إلى خلق حالة تواصلية تربط المرئي بالمتواري، والمحتمل بالمتحقّق، فالأشياء الحافلة بالصور والموضوعة ضمن اختياراته لا بد أن تقبل ما يأسرها وما يجعله يحرّر العين من قيود الموضوع والتأطير.

فالمهمة المؤولة له محكومة بحركات قادرة أن ترسي دعائم سياقاته الخاصة، ويمكن النظر إليها باعتبارها أفقا نهائيا داخل مسار تأويلي يمكن الوصول إليه في نهاية الأمر كنقطة إرساء دلالية، ويعدّ هذا الأفق شكلا نهائيا عليه ستستقر السيرورة التأويلية، ويمكن القول إن الأشكال التعبيرية المختلفة التي يفرضها نمط بنائه ما هي إلاّ انبثاقات جمالية تتقفّى أثر تلك السيرورة التي أنتجت وفق دلالات معينة، وبفضل ترتيب الإشعاعات الضوئية ومنابعها، وبفضل حركتها وسرعتها واتجاهها، فهو يرسم الفضاء ذاته المليء بأنماط قيميّة هي في طور التوتّر بين حالتي الانبعاث والتلقي.

وهذا يعني الإقرار بأن المساحة التي يرتادها بهاءالدين تشهد أسلوبه المستقل المبني على كشف مفرداته فيها، تلك المفردات التي تسمح له بمنح الضوء طاقة غير عادية طالما كان هدفه القبض على العوامل المبعدة بكل تجلياتها.

> اللاحقيقة تتحول إلى حقيقة في لوحات بهاءالدين، حيث نيران الرؤية تسبقه للتعرف على الجذور والإمساك بها

ويمكن القول أيضا إن بهاءالدين شغوف بالإقامة وسط الفراغات الغائبة بين ألوانه وتدرجاتها، شغوف بالمضي بمشهده بعد أن يشعل فيه نمنماته ونقوشه كنوع من رومانسية المكان وتاريخيته، بل كنوع من التقسيمات التي يقع قبلها ما هو مطموس ومغلق فيعلن عنها داخل عائلة فلسفته وبين سطورها هائما في المكوث خارج الاختلاف وداخله، مظهرا نفسه حاضرا في الوجود، ملزما بربط التاريخ نفسه بحلمه في أدقّ تفاصيله، شغوفا بتجاوز مفهوم العمل المغلق إلى المنفتح على تأويلات لا نهاية لها، كل ما فيه يمنح مفاتيحه لمتلقيه بوصفه محفّزا لنفخ الروح فيه.

والخلاصة أن مشاهد بهاءالدين لا تفقد ذاتها، بل تعيد اكتشافها مرة بعد أخرى، إن كانت من خلال التمثل لتخيّلاته التي يعمل عليها على نحو متزامن مع تعزيز وتدعيم (الأنا) ووجودها، أو كانت من خلال استثارة الانتباه وتولّد التوقّعات التي يسعى من خلالها لإشباعات جديدة دون أن تقع في قبضة الغموض أو ما يفقدها من مستوياتها الدلالية أو التركيبية.

فراغات غائبة بين اللون وتدرجاته

الأردنية جمان النمري ترسم أحلاما أسطورية عامرة بالتجريب والتجديد

عمان - ترسم الفنانة الأردنية جمان النمري بفطرية وعفوية، مجسّدة أشكالا تعبّر عن معان خفيّة تنبثق من اللون والتشكيل، كأنما هي تتحرّك في منطقة اللاوعي مقاربة هواجس الذات وأحلامها وخيالاتها ورؤاها وتطلعاتها.

وتقدّم النمري بألوانها فنا من نوع خاص، منه ما يمكن وصفه بالكوميديا السوداء، ومنه ما هو متفجّر من منبع سعادة خالصة، وذلك لإدهاش المتلقي واصطحابه إلى عوالم التشكيل المنتشرة على سطح اللوحة وصولا به إلى التفكير في مضمونها وما تريد البوح به من خلال اللون.

وتؤكّد النمري من خلال تجربتها المتنوّعة، أن الفن "حقل من التجريب المستمر"، وهو يكتسب ديمومته وفعاليته وتفاعله من هذه السمة. فقد تأثّرت الفنانة الأردنية التي درست الفن في الجامعة بالثقافة الغربية، وقدّمت في بواكير تجربتها أعمالا فنية رسمت فيها الطبيعة من زاوية نظرها الخاصة، ثم اتجهت إلى فن الحفر "الغرافيك" الذي وجدت فيه القناة المثلى للتعبير عمّا يؤرقها ويشغلها، من خلال الخطوط خشنة الملمس والألوان التي تبدو كأنها نثار فوق السطح، وبصورة تجعل كل لمسة للسطح الخشن ممرّ عبور إلى أعماق اللوحة.

تنقّلت النمري المولودة في عمّان عام 1974 بين العديد من الدول متنوّعة الثقافات والحضارات، فأكسبها ذلك رؤى وتصوّرات فنية جديدة، سواء على صعيد الشكل أو اللون، وأسهمت مشاركاتها الفنية في إثراء التجربة وتنوّعها لتشمل النحت والخزف والحفر والإنشاء الفني، إذ حضرت أعمالها في معرض نيبال الفني الدولي حول وضع المرأة (2009)، وفي ملتقيات فاس والقنيطرة (2013)، وفي أورفا التركية والبحرين (2014)، وفي دلهي الهندية (2015)، وفي كوالالمبور الماليزية (2017) وغيرها.

ومن المحطات اللافتة في تجربة النمري، معرض "راحة الروح" (2010) الذي أقيم في عمّان، وقد استلهمت الفنانة فكرته من الدمى التي تصنعها البدويات في البترا جنوب الأردن، إذ قدّمت منحوتات للدمى تتّخذ شكل نساء لهنّ أجنحة. وكشفت تلك المنحوتات التي نفّذتها الفنانة بتقنية الطباعة، عن فطرية وعفوية من جهة، وعن طاقة تعبيرية فيّاضة بالدلالات من جهة أخرى.

وتقدّم النمري المرأة في أعمالها بأسلوب تعبيري يركّز على حركة الجسد، وتظهر فيه الليونة والخفة بالقدر نفسه الذي تظهر فيه المعاناة، وكأنها توصل رسالةَ المرأة بالمطلق كصرخة في وجه العالم.

وتعبّر الفنانة في أعمالها عن شعور المرأة بالحزن والوحدة والصبر وألم الانتظار، كما في لوحاتها التي جعلت من نبتة الصبار رداء يلفّ المرأة. وهو ما تكرّر في تجربتها المسمّاة "عالم خفي" التي أظهرت النساء يلتحفن ماء البحر والأسماك، وتقول الفنانة في هذا السياق "هناك عالم آخر حولي مليء بالحياة، لكنني عالقة في شباكها وأمارس اصطياد الأرواح التي تحمل الحب في طريقها إليّ بسلاح الصبر الذي يمارسه الصيادون المهرة".

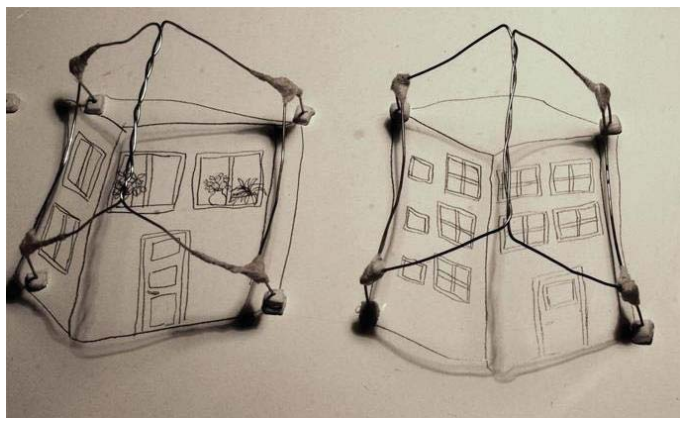

تثبيت البيوت وتسييجها ضمانا للبقاء

لبنان يفقد الشاعرة والكاتبة والرسامة إيتيل عدنان

بيروت - نعت الدوائر الثقافية والفنية في لبنان الشاعرة والكاتبة والرسامة إيتيل عدنان التي توفيت في ساعة مبكرة من صباح الأحد بالعاصمة الفرنسية باريس، عن عمر ناهز الستة وتسعين عاما.

كما نعاها مدير معهد العالم العربي في باريس جاك لانج على حسابه بفيسبوك قائلا "علمت ببالغ الأسى برحيل إيتيل عدنان. هذه الروح الشاعرة الملونة فائقة العذوبة التي عبّرت عن معاناتنا وفرحنا وحبنا".

وأضاف "كانت فنانة نادرة ومتكاملة، ذات موهبة متّقدة وذكاء مذهل. هذه الرحالة غير العادية جعلتنا نهتزّ للقوافي الجريئة القادمة من أرجاء البحر المتوسط".

وولدت إيتيل عدنان في الرابع والعشرين من فبراير عام 1925 في بيروت لأم يونانية وأب سوري، ونشأت في وقت كانت الحركات الفكرية والفنية في المدينة مزدهرة، وفي سن الرابعة عشرة سافرت إلى باريس حيث درست الأدب والفلسفة في جامعة السوربون، ثم أكملت دراستها في الولايات المتحدة.

وعملت عدنان بتدريس الفلسفة في جامعة الدومينيكان بكاليفورنيا، وهناك اكتشفت حبها للرسم بتشجيع من الفنانة الأميركية آن أوهانلون، وبدأت لاحقا في دمج اللغة العربية بأعمالها.

وتميّزت في الشعر وكتابة المقال والتأليف المسرحي والرسم والنحت، وأصدرت نحو عشرين كتابا بالإنجليزية والفرنسية، وساعدتها مواهبها المتعدّدة وانغماسها الدائم في التجريب وحبها للتنقل وتمكنها من أكثر من لغة في بلوغ العالمية.

واتسمت لوحاتها بالصفاء والهدوء والميل إلى تصوير الطبيعة البشرية، وجاءت معبّرة عن الحياة والحب والنقاء، فاقتنتها العديد من المتاحف الكبرى حول العالم.

> إيتيل عدنان اتسمت لوحاتها بالصفاء والهدوء والميل إلى تصوير الطبيعة البشرية، معبّرة عن الحياة والحب والنقاء

وفي عام 2018 أقام غاليري "ماس موكا" الأميركي معرضا لمجمل أعمالها بعنوان "شمس صفراء وشمس خضراء وشمس صفراء وشمس حمراء وشمس زرقاء" امتد على غرفتين، إحداهما للوحاتها والأخرى لشعرها، وركّز على الاختلافات في الإدراك بين النظر إلى اللوحات وقراءة الشعر.